مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . المجلد 14 العدد1 فيفري 2023/ -شعبان 1444ه
ص ص: 11 – 46

❁ الامتداد العلمي للشيخ امحمد اطفيش في إفريقيا من خلال: "جواب أهل زوارة" (1243 . 1332هـ/1827 . 1914م)

The scientific Impact of Sheikh Muhammad Tfayyesh in Africa Through: "The Answer of the People of Zuwara". (1332-1243 Hijri / 1827-1914 AD)

✍ أ.د . مصطفى وينتن
جامعة غرداية (الجزائر)
ouinten@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإرسال: 2023/01/24 تاريخ القبول: 2023/02/15 تاريخ النشر: 2023/02/28

الملخص:

يعتبر الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش(1243 . 1332هـ/1827 . 1914م) أحد أعلام الجزائر الذين امتدت أعمالهم وبلغ أثرهم العلمي مدى بعيدا في الوطن وخارجه، ومنها المحيط الإفريقي الذي كان له نصيب معتبر من أثر الشيخ اطفيش لأسباب متعددة.

وهذا ما يبعث على دراسة تراثه العلمي من مدخل الامتداد عبر المراسلات التي كانت بين الشيخ وبعض البلاد إفريقيا، ونأخذ نموذج علاقته مع أهل مدينة زوارة في ليبيا، في جوابه على أسئلة تقدموا بها، عبروا له في طلبهم عن حالهم، وآمالهم، ورجائهم أن يقف إلى جنبهم؛ فكان من مخرجات هذه العلاقة هذا الجواب الذي حمل اسم المدينة وأهلها، "جواب أهل زوارة".

وهو ما نحاول دراسته، وقراءته بما يحقق أهدافا علمية، تمكن من تقديم تصور عن مكانة الشيخ العلمية، وأثر امتداده خارج بلده، وتوصل إلى معرفة أهم القضايا والاهتمامات العلمية وغيرها.

---

* المؤلف المرسل

وهذا من خلال الوصف والتحليل والنقد، مع إمكانية المقارنة، عبر محاور هي:

أولا . علاقات الشيخ اطفيش بالمعاصرين له.

ثانيا . التعريف برسالة "جواب أهل زوارة".

ثالثا . القضايا الواردة في الرسالة ومسائلها.

رابعا . مجالات الامتداد المعرفي في الرسالة.

خامسا . خاتمة.

هذا ونأمل أن تفيد هذه الدراسة الأوساط البحثية، وتفتح مجالا لقراءة آثار علماء الجزائر وإسهامهم داخل الوطن وخارجه. والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الكلمات المفتاحية: الامتداد العلمي؛ امحمد بن يوسف اطفيش؛ إفريقيا؛ زوارة.

Abstract:

Sheikh Muhammad bin Youssef Tfayyesh (1243 1332 AH / 1827 1914 AD) is among the Algerian scholars whose scientific contribution and impact reached a far extent both in the homeland and abroad, including the African region, which had a significant share of the impact of Sheikh Tfayyesh for various reasons.

This study prompts his scientific heritage through the correspondence that was between the sheikh and some African countries, his relationship with the people of the city of Zuwara in Libya is a good case in point. In his answer to the questions Zuwara people put forward; about their condition, and their hope that he stands to their side; One of the outcomes of this relationship was this answer that bore the name of the city and its people, ‘‘The Answer of the People of Zuwarah.’’

This is what this paper is attempting to shed light on, aiming to achieve scientific goals by providing an insight of the Sheikh’s scientific position, and the impact of his reach outside his country. This research also aims to highlight the most important scientific issues and concerns, among others.

This is done through description, analysis and criticism, with the possibility of comparison, through the following axes:

First, Sheikh Tfayyesh's relations with his contemporaries.

Secondly, introducing the letter "The Answer of the People of Zuwara".

Third, the issues mentioned in the letter and its questions.
Fourth: Areas of knowledge breadth in the thesis.
Fifth, a conclusion.

We hope that this study will benefit the research community and open an opportunity to read the works of Algerian scholars and their contributions inside and outside the country. And Allah is the Conciliator and he is the Guider to right path.

Keywords: scientific impact, Muhammad bin Youssef Tfayyesh; Africa, Zuwara.

1 . مقدمة:

يعتبر الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش(1243 . 1332هـ/1827 . 1914م) أحد أعلام الجزائر الذين امتدت أعمالهم وبلغ أثرهم العلمي مدى بعيدا في الوطن وخارجه، وكان له أثر وتأثير، ظهر ذلك من خلال هذا التراث العلمي الذي تركه شاهدا على جهوده، وعلى حضوره، وعلى علاقاته بجهات متعددة علمية وسياسية واجتماعية، ومنها المحيط الإفريقي الذي كان له نصيب معتبر من أثر الشيخ اطفيش لأسباب متعددة، من أهمها تلك التي تتعلق بالانتماء الجغرافي مضافا إليه العامل الديني، وبخاصة المذهبي في بعض جوانبه، منها القريب والبعيد.

وهذا ما يحث على دراسة تراثه العلمي بمدخل الامتداد المعرفي، من خلال المراسلات التي كانت بين الشيخ وبعض الجهات أفرادا أو جماعات في البلاد الإفريقية، ونأخذ في هذه المحاولة نموذج علاقته مع أهل مدينة زوارة في ليبيا، الذين كان لهم به اتصال، أثمر جوابا على أسئلة تقدموا بها، ملتمسين حقا من حقوقهم لدى الشيخ، فهم من أهل مذهبه الإباضي، عبروا له في طلبهم عن حالهم، وآمالهم، ورجائهم أن يقف إلى جنبهم؛ فكان من مخرجات هذه العلاقة الجواب الذي حمل اسم المدينة وأهلها، "جواب أهل زوارة".

ولهذا الجواب أهميته العلمية والتاريخية والاجتماعية الحضارية، بمضمونه ودلالته المتعددة، وهو ما تحاول هذه الدراسة قراءته بما يحقق أهدافا علمية، تمكن من تقديم تصور عن مكانة الشيخ العلمية، وأثر امتداده خارج بلده، وتوصل إلى معرفة أهم القضايا والاهتمامات العلمية وغيرها من خلال الأسئلة التي أجاب عنها الشيخ اطفيش، كما تسهم هذه الدراسة في تقييم الوضع والحياة الاجتماعية والسياسية.

وتتوخى الدراسة تحقيق هذه الغاية من خلال الوصف والتحليل والنقد، مع إمكانية المقارنة، عبر المحاور الآتية:

أولا . المقدمة

ثانيا . علاقات الشيخ اطفيش بالمعاصرين له.

ثالثا . التعريف برسالة "جواب أهل زوارة".

رابعا . القضايا الواردة في الرسالة ومسائلها.

خامسا . مجالات الامتداد المعرفي في الرسالة.

سادسا . خاتمة.

ونأمل أن تقدم هذه الدراسة ما يفيد الأوساط البحثية، وتفتح مجالا لقراءة آثار علماء الجزائر وإسهامهم داخل الوطن وخارجه.

2 . علاقات الشيخ اطفيش بالمعاصرين له:

لم يكن الشيخ اطفيش محمد بن يوسف سجين رقعة جغرافية وحيز مكاني محدود، كما لم يكن فكره ولا أعماله حبيسة زمن مقتصر على عصره وفترة وجوده، وكتب الله تعالى له ولجهوده امتدادا في الزمان والمكان، فما زال الباحثون يستفيدون من أعماله على اختلاف اهتماماتهم في العلم الشرعي بخاصة، والأعمال مستمرة في محاولة الوقوف على أهمية ما قدم للبشرية ولأمة الإسلام من آثار، شأنه في هذا شأن العلماء الربانيين، الذين ورثوا علم الرسول ﷺ، فهم منه يغرفون، وله ينشرون وإليه يدعون.

وفي الامتداد المكاني نجد تراث القطب اطفيش وفكره يمتدان من وادي مزاب جنوب الجزائر ليصل باهتمامه وأعماله أقصى ما أمكنه، سواء بالسفر والرحلة وإن كان قليلا، أو بالمراسلة، والأجوبة على الأسئلة الواردة إليه من هنا وهناك، أو بالمشاركة، كما كان الشأن في رسالته "حل لغز الماء"، أو بطباعة الكتب ونشرها بين أهل العلم وطلبته، في مختلف البلدان.

وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين الذي انتهى إلى القول بأن القطب قد جعل الجزائر تشارك في الانبعاث الفكري للعالم الإسلامي في وقته من الجنوب، رغم بعد المسافة وصعوبة التواصل، ورغم أنه حاول أن يستعجل النهضة على المستوى الكمي[1].

وقد أثمرت هذه الجهود العلمية والحضور العلمي من الشيخ اطفيش جملة من الصلات التي توثقت بينه وبين مختلف الجهات العلمية، أو السياسية وكان سببها الحاجة العلمية غالبا، وجسدت الامتداد العلمي والمعرفي للشيخ اطفيش، نورد بعضها في الآتي.

[1] عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطون دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص 14.

1.2 علاقة القطب بالدولة العثمانية:

ربط القطب بالخلافة العثمانية رابط الوحدة الإسلامية، والعلاقة الدينية، فهو يرى أنها تمثل سلطة إسلامية إلى عهده ولو كانت في آخر أيامها، إضافة إلى الرابط السياسي الذي كان بين العثمانيين والجزائر حتى القدوم الاستعماري، فكانت له مراسلة مع السلطان عبد الحميد الثاني، شارك فيها بإشارات ورأي في بعض القضايا منها خط سكة الحديد الحجاز، وتقديم النصح للسلطة العثمانية، وكان من آثار توثيق هذه الصلة والعلاقة الوسام التي تلقاه من العثمانيين[2].

2.2 علاقته بسلاطين مملكة زنجبار:

هذه الصلة التي وثقت الروابط بينه وبين شرق إفريقيا، وكانت قوية، وذات عائد طيب على سلاطين زنجبار لما وجدوا فيها من تأييد جانبهم ونصحهم، ومواكبة للأحداث رغم بعد المسافة، كما استفاد منها حقل البحث العلمي، بطباعة سلاطين زنجبار لأعمال القطب، ونشرها في بلدان مختلفة بتوفير النسخ المتعددة بواسطة المطبعة العربية في زنجبار، ومنها طباعة تفسيره "همیان الزاد إلى دار المعاد"، فكان نتاج المطبعة يجد له طريقا وسوقا إلى مختلف البقاع، وقد حرص القطب على هذا التوزيع ونوه به في مراسلاته مع سلاطين زنجبار، وأشار إلى توزيع الكتب على أهل العلم والطلبة تعميما للفائدة[3].

وخلد الشيخ اطفيش هذه العلاقة بمراسلات عديدة وقصائد في الإشادة بفضل جهود السلاطين، كما خلدها ببعض الرسائل الخاصة بالحياة الاجتماعية والسياسية لزنجبار فيما يتعلق بتولية سلطان، أو التعزية في بعض الوفيات[4].

---

[2] اطفيش، مجموعة رسائل، (مخ) مكتبة القطب (أ.ز 6)، ص 03؛ الرد على العقبي، ص 29 – 34؛ رسائل بين القطب والإدارة الاستعمارية، (مخ)، مكتبة الاستقامة، (د.ر)، ص 05؛ أبو اليقظان إبراهيم، ملحق السير، ص 159، 161؛

P. Cuperly ; Aperçus, p14.

[3] عبد الحق ميحي، مخاطبات ورسائل قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش إلى سلاطين زنجبار في شرق إفريقيا، ص 303 – 317.

[4] تعمل فرقة بحث في إطار البحث التكويني الجامعي بجامعة غرداية على جمع تراث الشيخ اطفيش النظمي، بعنوان: تراث الشيخ محمد بن يوسف اطفيش النظمي غير المنشور. جمع وتحقيق"، وقد حققت نصوصا من قصائده في العلاقة مع سلاطين زنجبار.

2 . 3 . علاقته بالعمانيين:

لعل أوسع العلاقات التي كانت بين القطب وغيره، تلك التي ربطته بالعمانيين، وأكسبته ودَّهم، وتقديرهم ومحبتهم له، وفي المقابل كان الشيخ يفيدهم علميا بتأليف الكتب، وبالجواب على أسئلتهم، والتبادل مع علمائهم، وخاصة منهم الشيخ نور الدين بن حميد السالمي والشيخ صالح بن عيسى الحارثي، والتشاور معهم في مسائل العلم، وقضايا السياسية والاجتماع، كما استفاد القطب منهم إمداده بالمصادر العلمية التي احتاجها لبحوثه، فأخلص كل جانب للآخر، ولم يدخر العمانيون جهدا في إفادة القطب بما يطلبه منهم من كتب ومؤلفات، كما كان القطب سباقا إلى إرسال إنتاجه العلمي إلى العمانيين، بل كان يؤلف حسب طلبهم وحاجتهم التي يبدونها، حتى أنه انتدب نفسه للتأليف لهم في مقابل أن يشتغلوا بالحاجة الحياتية والأوضاع العامة التي يعيشونها في وطنهم[5].

2 . 4 . علاقته بالشخصيات العلمية:

اهتم الشيخ بالاتصال والتواصل مع إخوانه في العلم، فكان لا يفوِّت الفرص في أسفاره لهذا الغرض، أو بمراسلته إلى أهل العلم في زمانه، وكان ينوه بهم، ويذكر الرابطة التي كانت بينه وبينهم، ومنهم علماء الحرمين الذين التقى بهم في رحلتيه الحجازيتن، الأولى في العقد الأخير من القرن الثالث عشر الهجريِّ سنة 1290هـ[6]؛ والثانية سنة 1303هـ/1886م، وسجَّل مراحلها ووصفها في قصيدته الحجازيَّة [7].

---

[5] اطفيش، مجموع رسائل، (مخ) مكتبة القطب (أ.ز 6)، ص .51

[6] اطفيش، شرح لامية ابن النضر، (مخ) مكتبة القطب (أ- ث:1)، ص 934؛ الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ط1، د.م، 1326هـ، ص .240

[7] اطفيش، القصيدة الحجازية، (مخ) ضمن مجموع قصائد وأجوبة، مكتبة القطب، (أ.ز 7).

ومن بين العلماء الذين أشار إليهم في مؤلفاته: الشيخ أحمد زيني دحلان[8]، ومحمد سليمان حسب الله[9]، ومحمد حقّي بن علي بن إبراهيم[10]، ومحمد عُليش[11] ورحمة الله بن خليل الرحمن الهندي[12].

ومن آثار هذه العلاقة مشاركته بدروس في الحرم المدني، شرح فيها العقدية السنوسية، فكان نموذجا للعالم الجزائري الواسع الأفق، إذ شرح متنا مغربيا جزائريا، على المذهب الأشعري، مع أنه يدين بالعقيدة على المذهب الإباضي، ليثبت هذا التلاقي والتواصل المذهبي، وسعة الإسلام لكل أهله وأبنائه وعلمائه[13].

2. 5. التواصل مع طلبة العلم، وسائر فئات المجتمع:

تُظهر آثار الشيخ اطفيش امتداد جهوده وأثره في فئات مختلفة، منها بخاصة أهل العلم وطلبته في أماكن متعددة، منها تونس وليبيا، ومصر، والمغرب، وأروبا حيث كان له اتصال ببعض المستشرقين مثل ماسكوراي[14]، ولوي دافيد، وغيرهم[15].

---

[8] أحمد زيني (1232-1304هـ / 1817-1886م)، ينظر: الزركلي الأعلام، 1/.129

[9] محمَّد سليمان حسب الله (1244-1335هـ/ 1828-1917م)، ينظر: المرجع نفسه، 6/.125

[10] محمَّد حقي بن علي بن إبراهيم (1301هـ/1884م)، ينظر: المرجع نفسه، 6/.108

[11] محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش، فقيه مالكي من أصل مغربي، توفي في السجن لَمَّا قامت الثورة العرابية (1217-1299هـ / 1802-1882م)، ينظر: المرجع نفسه، 6/.19

[12] رحمة الله بن خليل الرحمان الهندي، (ت 1306هـ/1888م)، ينظر: المرجع نفسه، 3/.18

[13] اطفيش، شرح النيل، 1/47؛ الرد على العقبي، ص.10؛ جمعية البلابل الرستمية، أعمال مهرجان القطب، فيها وثيقة بإمضاء الشيخ أحمد بن حمزة الرفاعي يروي فيها عن أبيه كيف تمّ قبول تدريس الشيخ اطفيش في المسجد النبوي، وكان هو الواسطة في ذلك.

[14] اطفيش، شرح شواهد الوضع، (مخ) مكتبة القطب (أ.ع: 03)، و: 52، ينظر:
EMILLE MASQUERAY: Chronique d'Abou Zakaria: Imprimerie de l'Association ouvrière, Alger: P: XXXI.

[15] اطفيش، الرد على الانكليزي، المطبعة المديرية، تونس 1321هـ ، ضمن مجموع، ص 05؛ تيسير التفسير، 12/ 55.

فقد كان القطب داعية وناشرا للعلم حيثما أمكنه، متنقلا بنفسه، أو مرسلا كتبه وأجوبته في مختلف المجالات، ومجيبا في النوازل على عهده، وقد جمع بين وسائل العمل العلمي المختلفة، منها التدريس والتأليف، والجواب على الاستفتاءات والاستشارات العلمية التي ترد إليه، ويعيش عصره مهتما بقضاياه، مشاركا الناس همومهم وآمالهم وآلامهم، وداعيا إلى النهضة ومقاومة الظلم الاستعماري، وداعيا إلى التحرر من ربقة الجهل والاستعمار معا.

وبإحصاء الحواضر التي امتدت إليها أعمال الشيخ اطفيش نجد كما معتبرا منها في مختلف البلدان، لعلنا نشير باختصار إلى بعضها مستقاة من عناوين أعماله ذاتها.

وأسعفنا في ذلك العمل الجليل الذي تفضل به فريق الباحثين في مؤسسة عمي سعيد بغرداية، حيث قاموا بتحقيق جوابات الشيخ، وهو مشروع معد للطباعة بعنوان: "جوابات الإمام القطب"، ومن خلاله أمكن لنا حصر الأعمال التي تدلنا على امتداد فكر الشيخ وإسهامه الواسع، وانتشار تراثه ونفعه العباد، بالنظر إلى المراسلات الواردة إليه وتوجيهه الجواب إلى أصحابه، ونلخص هذا في الجدول الموالي بذكر البلد والمرسل إليه، وعدد الرسائل التي كانت بينه وبين الشيخ:

جدول إحصائي برسائل الشيخ اطفيش حسب ما جمع في "جوابات الإمام القطب"

البلد	الرقم	المرسل إليه	عدد الرسائل
عمان	01	أحمد بن سعيد الخليلي	01
	02	أحمد بن سعيد الهاشمي؛ومعه عيسى بن سالم الإسماعيلي	02
	03	أهل عمان	06
	04	أهل عمان وزنجبار	02
	05	راشد بن عزيز الخصيبي	14
	06	سالم بن سلطان الريامي	01
	07	سالم بن محمد الرواحي	01
	08	سليمان بن سيف	01
	09	سليمان بن محمد الكندي	02
	10	سليمان بن ناصر الخروصي	02
	11	صالح بن عيسى الحارثي	01
	12	عامر بن خميس بن مسعود العماني	04
	13	عبد الله السالمي، ومعه عيسى بن صالح الحارثي، أو محمد بن شيخان.	18
	14	عبد الله بن راشد الهاشمي	04
	15	عبد الله بن سليمان الحارثي	01
	16	محمد بن سلطان الريامي	04
	17	محمد بن شيخان السالمي	07
	18	محمد بن شيخان السالمي وشيخه السالمي	01
	19	محمد بن عبد الله الخليلي	06
	20	محمد بن مسعود البوسعيدي	01
	21	ناصر بن مسعود العماني	01
	22	نبهان بن سيف البكري العماني	01
زنجبار	23	أهل زنجبار	01
	24	فيصل بن تركي البوسعيدي	05
مكة	25	علماء مكة	01
تركيا	26	السلطان عبد الحميد الثاني	01
مصر	27	أهل مصر	02

البلد	الرقم	المرسل إليه	عدد الرسائل
	28	بعض علماء الأزهر	01
نفوسة	29	أهل نفوسة	01
	30	أحمد بن سعيد ويوسف بن مسعود النفوسيين	01
زوارة	40	أهل زوارة	01
طرابلس	41	رد على المفتي محمد كامل بن مصطفى[16]	01
	42	أحمد بن يحيى بن عيسى الباروني	01
	43	عبد الله بن يحيى الباروني	02
تندميرت	44	عمر بن عيسى التندميرتي	01
تونس	45	رسالة في المجاز[17]	01
	46	قصيدة في فتح طريق الحج	01
	47	جواب إلى بعض علماء تونس ونصاراها	01
جربة	48	سعيد بن علي الجربي	02
	49	بعض الجربيين وأهل جربة	03
	50	سعيد بن قاسم والحاج رمضان بن جماعة الجربيين	01
	51	سعيد بن علي التعاريتي	01
	52	سليمان الشماخي	01
	53	يوسف بن سعيد اليونسي الجربي	01
وارجلان	54	قصيدة وارحلان	01
	55	«جواب السرحان»[18]	01
القرارة	56	إبراهيم بن الحاج سعيد القراري	17
	57	أبو بكر بن الحاج قاسم القراري	02
	58	الحاج عيسى بن يحيى حمدي	02
بريان	59	كتاب: «التحفة والتوأم»	01
غرداية	60	عمر بن أبي الحاج بن أمحمد	01

[16] اطفيش، جواب أهل زوارة، ضمن "جوابات القطب"، القسم الثاني، ص 690.

[17] اطفيش، بيان البيان، (مخ) مكتبة القطب (أ. س: 1، 2)، ص 85.

[18] ويسمى أيضا: «جواب أهل وارجلان»، ينظر : "جوابات الإمام القطب" جاء فيه بعنوان: "في خيول النبيء ﷺ جوابا لأهل ورقلة"، الجوابات، القسم الثاني، 267.

البلد	الرقم	المرسل إليه	عدد الرسائل
وباقي مدن وادي مزاب	61	عمر بن إسماعيل بورور	01
	62	عمر بن داود بن إبراهيم وغيره	01
	63	عمر بن يحيى ويرو	02
	64	الحاج عيسى بن عدون	01
	65	محمد بن إبراهيم وغيره	01
	66	محمد بن أيوب البليدي	07
	67	الحاج أمحمد بن الحاج بكير الشرعي	01
	68	محمد بن صالح عشو	01
	69	محمد بن أمحمد بن عبد الله، وأمحمد بن يونس	01
	70	محمد بن محمد بن يحيى	01
	71	مسعود بن الحاج سليمان	01
	72	يحيى بن صالح بن عبد الرحمن باعمارة	02
	73	يحيى بن صالح بن إبراهيم	01
	74	يحيى بن قاسم باعامر	01
	75	يوسف بن باي أحمد وصالح بن عبد الرحمن	01
مستغانم	76	أحمد بن عليوة	01
تكرور	77	«جواب رجل من تكرور»، ويسمى أيضا:«لغز نكاح المجوس»	01
البلاد غير المعروفة	78	علي بن الجنيد بن سيدي زيان	02
	79	علي بن خميس القصاب، ومعه آخرون	06
	80	عمار تليلي	01
	81	مراسلون مجهولون	48

فقد بلغت الأعمال التي أنجزها الشيخ اطفيش وقصد بها غيره، مائتان وتسعة عشر عملا(219)، وكانت رسائل في موضوع معين، أو مراسلات شخصية في مواضيع مختلفة، عدا المؤلفات الأخرى التي جاوزت المائة مؤلف.

كما يتبين من هذا الإحصاء أن عدد الذين تعامل معهم الشيخ جوابا على أسئلتهم، كانوا مائة شخصية (100)، من مختلف البلدان.

وكانت له مراسلات إلى مجموعات يعبر عنها بأهل كذا (عمان، زنجبار، ونفوسة...)، وقد بلغ عددها إحدى عشرة مجموعة من المرسل إليهم.

وأما البلاد التي وصلت إليها رسائله وأجوبته حسب هذا الإحصاء فهي ستة عشر (16) بلداً ، تبدأ من الدائرة الأولى في مزاب ثم تذهب جنوب شرق إلى وارجلان؛ ثم شمال شرقا إلى القرارة، فتونس: العاصمة، وجربة؛ وليبيا: زوارة، ونفوسة، وطرابلس؛ ثم مصر، والحجاز، وعمان، وتركيا، ثم غربا إلى مستغانم، وفرنسا (وإن لم تذكر في هذا العمل)، وأخيرا جنوبا إلى زنجبار والتكرور في إفريقيا.

هذا الامتداد الذي يدل على مشاركة الشيخ اطفيش في الحياة العلمية، وحضوره وشهوده الوضع العام على عهده، وامتداد عمله وجهوده داخل بلده وخارجها.

فنرى مدى اهتمام الشيخ بالعالم من حوله، من خلال مجموعة من الرسائل والأجوبة، عدا المؤلفات التي انتفع بها الناس من حوله؛ كما ندرك أهمية هذا الامتداد ومداه بالنظر إلى الحال التي عاشها الشيخ اجتماعيا وسياسيا، واقتصاديا في زمنه، وكذا الموقع الجغرافي والحيز المكاني الذي وجد فيه، وكانت سمته البعد عن الحواضر والحياة المتطورة، ورغم ذلك تمكن من أن يوصل إسهامه في زمنه إلى مواقع بعيدة، مستعينا بما أمكنه من الوسائل، مما يجعلنا نفترض ونتساءل عن احتمال مضاعفة هذا الحضور والامتداد لو كان في بيئة أكثر تحضرا، وأوفر وسائل.

وفي رسالة أهل زوارة ما يدل على هذا الامتداد الذي كان سبب إرسالهم وتواصلهم مع الشيخ، إذ طلبوا أن يصلهم برسائله وعماله كما يرسل إلى الأقطار المختلفة، وعرَّضوا بشكواهم وعتبهم أنه يكتب إلى غيرهم ولا يكتب إليهم، فقالوا: «وإنك تكتب إلى الأقطار ولا تكتب إلينا، ولابد من أن تكاتبنا كما تكاتب الناس، ولو مخالفين، ونحن أحق بك منهم»[19].

[19] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص. 175.

3. التعريف برسالة "جواب أهل زوارة":

اتخذنا رسالة "جواب أهل زوارة" نموذجا واحدا تطبيقا لدراسة امتداد الشيخ اطفيش على مستوى المضمون والقضايا التي كانت موضوع مشاركة من القطب، وإسهاما منه في نقل المعرفة، أو تصحيح المواقف، والمشاركة في الحياة الفكرية والعلمية بالنسبة إلى أهل مدينة زوارة.

ونتوصل إلى هذا ونتوسل بالتعريف بالمرسل إليهم، الذين أجابهم بهذه الرسالة، لأن البداية كانت منهم، ثم تحليل القضايا التي شكلت موضوع الجواب، وبعد ذلك محاولة تقديم النتائج الممكنة من وراء هذا الجواب في مدى إسهام الشيخ اطفيش وامتداده المعرفي إلى هذه المنطقة من شمال إفريقيا.

3. 1. زوارة القبيلة والمدينة:

زوارة حاليا اسم لمدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط في ليبيا، يقطنها الإباضية، وحسب الرسالة فإنهم من فرقة النكار، وهي الآن بلدة ليبية، تبعد عن العاصمة طرابلس غربا حوالي 160 كلم، وقريبة إلى تونس بنحو 60 كلم.

ولم نتمكن من الحصول على معلومات عنها فيما اطلعنا عليه، سوى قليل من ذلك في القديم وفي المعاصر.

فحسب الباحث بوزياني الدراجي، فإن زوارة قبيلة تنسب إلى القبائل الأمازيغية البترية، تنحدر من فرع قبائل ضريسة التي تنسب إلى يحي بن ضري بن زحيك ابن مادغيس الأبتر[20]، إلا أنه يعود بعد هذا ويقول إنه لم يجد في المصادر اسم قبيلة زوارة، ورأى أن في الأمر خلطا من المؤرخين في الموضوع، و: «أنه لم يثبت حتى الآن وجود قبيلة باسم زوارة»[21]. إلا أن الذي لا ينكر هو على الأقل وجود اسم المكان، لهذه المدينة التي أرسل أهلها وعلماؤها الإباضية هذه الرسالة إلى القطب، وأنه أجابهم، ولعل اسم القبيلة أو المدينة قد اشتبه مع قبيلة زواغة.

---

[20] بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، سلسلة العصبية القبلية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، 1/ 139.

[21] بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ص358، وانظر ص 356.

3 . 2 . علاقة زوارة بالقطب:

لم نجد ما ربط بين القطب وأهل زوارة غير هذه المراسلة التي بعثوا بها إلى الشيخ اطفيش، وأجابهم على أسئلتهم الواردة فيها، وحفظت ضمن أعماله، ورسائله.

3 . 3 . رسالة جواب أهل زوارة:

هذه الرسالة طبعت بعنوان "جواب أهل زوارة" طبعة حجرية مع منظومة "جامع حرف ورش"، يوم الخميس الأول من شهر جمادى الأولى سنة 1325هـ، وقد التزم هذه الطبعة السيدان: الحاج عمر بن الحاج ابراهيم العطفاوي، والحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى اليسجني. وتقع في خمس وعشرين صفحة، وحققت ضمن مشروع "جوابات الإمام القطب الشيخ أمحمد بن يوسف اطفيش" أنجزها فريق من الباحثين في مؤسسة عمي سعيد، ولم تنشر بعد، وهي الرسالة السابعة والستين في ترتيب جوابات القسم الأول، وحققوا نصها من نسختين خطيتين إحداهما بها تصحيحات وإضافات بخط القطب[22]، وقد اعتمدنا هذه الطبعة المحققة في الدراسة، وتقع في أربع وعشرين صفحة، من ص 175 إلى صفحة 198.

وتنقسم الرسالة إلى جزأين: الأول فيه مقدمة رسالة أهل زوارة وديباجتهم؛ والثاني جواب القطب على الأسئلة، مرتبة حسب ورودها كما قال الناشران الأولان في النسخة المطبوعة طبعا حجريا، ولم نقف على نص الرسالة كاملا.

4 . القضايا الواردة في الرسالة ومسائلها:

وفي ترتيب الجواب بين أعمال الشيخ يمكن القول إنه ألفها بعد كتاب "شرح كتاب النيل وشفاء العليل"، وقد أحال عليه، في مسألة القول والفعل بغير علم[23]، وبعد كتاب "شرح عقيدة التوحيد"، وقد أشار إليه في جوابه في مسألة قدم الصفات في معانيها[24]، وبعد جملة من المؤلفات لكن لم تسم في الرسالة؛ إذ طلب أهل زوارة أن يرسلها إليهم،

[22] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص. 175.

[23] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص. 177.

[24] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص. 176.

وقالوا: «فامنن علينا بجوابها، ثم بما تيسر من جوابك»[25]؛ فيمكن القول إن هذا الجواب لم يكن في بدايات حياته العلمية، بل في وقت متقدم.

4 . 1 . مضمون مقدمة الرسالة:

تضمنت مقدمة الجواب على عادة الرسائل ما يأتي:

أ . استهلال بذكر الله تعالى وحمده والثناء عليه، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ وآله.

ب . سلام من كاتب الرسالة باسم علماء زوارة وعامتها إلى القطب، والشوق إلى رؤيته، والانتساب إليه انتساب إمامة، ومدحه بالعلم والعمل وكونه الحجة للموافق والمخالف.

ج . شكوى أهل زوارة مما ينسبه الناس إليهم من أقوال لم يقولوا بها.

د . الرغبة في الاتصال بالشيخ وبمن معه، ويكرهون أن يجفوهم، مما يدل على أنهم يشعرون أنهم في عزلة عن إخوانهم.

هـ . الإشادة بعلاقة القطب بجهات متعددة من الإباضية وغيرهم، ويحتجون بالأولوية والأحقية على غيرهم في ذلك، وتظلموا بأن القطب يراسل الناس في أقطار أخرى، ولم يراسلهم، وطلبوا الجواب على أسئلتهم التي أوردوها في الرسالة.

و . ذكر أسماء بعض من أرسلوا الرسالة، وتبليغ تحيتهم وسلامهم، ووصفهم بأنهم من أهل البلد المعتبرين، وممن تتبعهم عامة الناس، منهم:

. العربي بن الفقيه رمضان

. علي بن محمد بقوش

. السنوسي بن الفقيه محمد بن جمعة الفطمي

. شعبان السنوسي

ز . التأكيد على ولائهم ومحبتهم وسلامهم للقطب ومن معه من الطلبة والعوام، ورغبتهم في اللقاء به وحضورهم عندهم زيارة لوجه الله تعالى، وللرسول ﷺ، وهذا مما يدل على ارتباط

[25] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص. 176.

هذه الحاضرة وأهلها بإخوانهم في مزاب، وبالشيخ خاصة، وشعورهم بحقهم في الاستفادة من علمه، واستعانتهم بما آتاه الله من العلم، ورد أقوال نسبت إليهم على غير وجه الحق.

ح. طلب الجواب على أسئلتهم، وكذا أن يفيدهم بما فتح الله عليه من مؤلفات.

ففي هذه المقدمة من الرسالة نستنتج أن أهل زوارة من العلماء والعامة أرادوا أن يبنوا جسر تواصل بينهم وبين القطب، وقد شعروا بشيء من العزلة عن غيرهم، مما جعل الناس ينسبون إليهم أقوالا لم يقولوا بها، ولعل هذا بين الإباضية أنفسهم، فإنهم لم يسفروا عن المقصودين في قولهم إن الناس يتقولون عليهم ما لم يقولوا.

ويظهر مدى تعلق أهل زوارة بالشيخ ومكانته لديهم، واحترامهم له، وتقديرهم، وولائهم له، مما يدل على امتداد أعماله إليهم، واستفادتهم منها، واتصالهم بما يكتب.

بقي أن يشار إلى أن أهل زوارة فيما اشتهر بين الإباضية هم من النكار، ولكن الرسالة لم تفصح عن هذا الانتماء، لا من جهة أهل زوارة، ولا من القطب في أجوبته، لكنه ينسبهم ضمنيا إلى النكار، من خلال ذكر بعض علماء النكار، مثل قوله: «قلت لعلّ ذلك غلط، ويدل على أنَّه غلط ما يوجد في كتاب عبد الله الفزاري من علمائهم»[26]، وكذا قوله: «وكان الشيخ عبد الله الفزاري إمام إخواننا أهل زَوَارة»[27]؛ وعبد الله الفزاري فقيه من الكوفة إباضي، عاش أوائل القرن الثالث الهجري(ق03هـ)، كان إمام النكار، وله كتاب الردود، وكتاب الرد على الروافض[28].

فالقطب ينسبهم إلى النكار ضمنيا، ولكن يبدو أنهم يكرهون هذا الوصف فلم يوردوه أبدا، كما أن القطب احترم هذا الشعور، أو معاملة لهم بما يليق، لم ير من الأدب، ولا حتى من الشرع أن يخاطبهم بما هم له كارهون.

---

[26] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص. 182.

[27] جمعية التراث، معجم الأعلام، ترجمة رقم 606؛ اطفيش، جواب أهل زوارة، ص. 176.

[28] عبد الله الفزاري، كتاب التوحيد، مخطوط، ضمن مجموع، 66 و، نقلا عن: اطفيش، جوابات القطب، 176/1.

4 . 2 . مسائل الرسالة وأجوبة القطب عليها:

وفي هذا الجزء يورد القطب أقوال أهل زوارة، وفي أكثرها طلب تصحيح تصور الناس عن مواقفهم، ورد أخطاء في حقهم، يبين فيها الشيخ القول الصواب عنده، ويثبت ما هو صحيح من قول أهل زوارة؛ وهي ست عشرة مسألة، نوردها مرتبة على حسب ورودها في الجواب، كما يأتي.

المسألة الأولى:القول بعدم تغير ولاية الله العباد وبراءته منهم حسب الطاعة والمعصية:

نقل عن أهل زوارة أنهم يتبرأون من القول بتغير ولاية الله تعالى للعبد وبراءته منه، وتقلبها حسب طاعة العبد ومعصيته، وأنهم يثبتون أن هذه الولاية والبراءة من الله تعالى ثابتة، لا تتغير، سواء في الحالين، بمعنى: أن العبد إذا تولاه الله تعالى فلن يبرأ منه ولو وقع في المعصية، وإذا تبرأ منه فلن يتولاه ولو وقعت منه طاعة.

وهذا القول مستند إلى أصل الأسماء والصفات، وأن الله تعالى لا يبدل القول لديه، وأن الولاية والبراءة عنده لا تتغيران، بمعنى أن ولي الله قد يقع في المعصية والله يعلم منه أنه سيتوب ويغفر له، فهو ولي ولو وقع في المعصية، وكذا عدو الله في براءته، ولو أتى طاعة، لأنه تعالى يعلم منه أنه لا يثبت ولا يموت على الطاعة والإيمان.

ويستند الإباضية في هذا القول إلى أنه تعالى منزه عن التغير، والتبديل، كما قال تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ق: 29].

ونقل القطب براءة أهل زوارة، من هذا، واستشهد لعدم نسبة القول إليهم بقول إمامهم عبد الله الفزاري في كتابه "كتاب التوحيد في معرفة الله عزوجل"[29].

ووجَّه القطب إمكان القول بتغير ولاية الله تعالى للمطيع وبراءته للعاصي بأنه يمكن أن يكون معناه أن فعل الطاعة في ذاته يحبه الله إذا صدر من العاصي، مع أن العاصي ذاته في براءته، وكذا لا يحب الله تعالى فعل المعصية، ولا يرضى بها في ذاتها إذا صدرت من وليه، مع بقاء وليه في ولايته، وقال إن هذا المعنى لا إشكال فيه.

[29] اطفيش، شرح العقيدة، ص. 564-565.

كما أنه احتمل أن يكون القول بتقلب ولاية الله وبراءته قولا لأحد أوائل أهل زوارة، وسابقيهم؛ وتركه احتمالا، ولم ينسبه إلى معين.

المسألة الثانية: خلق ألفاظ الأسماء وقدم معانيها:

وتتعلق المسألة ببحث ألفاظ أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته، وقد درسها المتكلمون من حيث كونها قديمة أو حادثة، والذي قال به الإباضية إن معاني الأسماء ومدلولاتها قديمة، ولكن اللفظ المعبر عنها والإنسان المعبِّر بها والمتكلم بها كل ذلك مخلوق، وأن هذا لا يقدح في كمال الله تعالى المنزه عن كل نقص، فهو القديم وأسماؤه قديمة بمعنى قدم معانيها ومدلولاتها.

وذكر إقرار أهل زوارة أن الأسماء مخلوقة على المعنى الذي ذكر سابقا وشرحه القطب وأكد عليه، وأنه قوله الذي يدين به منذ بلوغ الحلم. ودافع عنه وبينه، وقال إنه قول ابن بركة، وأشار القطب إلى أنه قد بحث هذه المسألة في كتابه "شرح عقيدة التوحيد"[30]، ثم سرد النص الذي تضمن هذا المعنى كاملا؛ فهو يوافق أهل زوارة، إذ لم يخرجوا عن المشهور والمجمع عليه، لأن معاني الصفات ليست محل خلاف، ولكن الخلاف في ألفاظها.

وهذه المسألة ترتبط بالخلاف في القول في خلق القرآن وقدمه، إذ الاتفاق واقع على أنه كلام الله تعالى قديم، ولكن الخلاف في النص واللفظ.

المسألة الثالثة: القول بوجوب الإمامة:

وذكر فيها إثبات أهل زوارة وجوب الإمامة عند توفر شروطها، وأقرهم القطب على ذلك، وأيدهم بقول عبد الله الفزاري بأنها واجبة كما جاء في كتابه :الرد على ابن عمير"[31]، وإنما ينسب النفي وإنكار الوجوب إلى عيسى بن عمير إمام العمرية المنسوب إلى طائفة من الإباضية، في القرن الثاني الهجري، ولا صلة له بهم كما قال الدرجيني[32].

---

[30] الفزاري، الرد على ابن عمير، مخ، 69 . 70 وظ، نقلا عن اطفيش، جوابات القطب، 1/ 178.

[31] الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق الشيخ إبراهيم طلاي، ط2، دم، دت، 46/1، ينظر: اطفيش، جوابات القطب، 178/1.

[32] ينظر: مهنا بن راشد بن حمد السعدي، الإمام الحارث بن تليد الحضرمي (131- 140هـ)، في الرابط: http://ibadiya-ahlalhaqe.blogspot.com/2014/01/131-140.html؛ تاريخ الاطلاع: 2022/09/09، 22:24.

فالإباضية يرون وجوب الإمامة وتنصيب الإمام إذا توفرت الشروط كما هي في أصل الأمر والنهي، وفي نظرية مسالك الدين، ولم يخالف في ذلك أهل زوارة، وبل نفوا عن أنفسهم هذا الخلاف كما جاء في الجواب، وردوا على قول ابن عمير في هذا بشدة.

المسألة الرابعة: حكم الوقوف في الزاني دون الفرج:

وقد كانت هذه المسالة مثار جدل بين العلماء منذ القرن الأول، في شأن حكم المرأة المأتية فيما دون الفرج، وهل يعتبر العاصي زانيا، وهل يتولى أو يتبرأ منه، وذكر أهل زوارة أنه في حكم الوقوف، لا يتولى ولا يتبرأ منه، وكأنهم رأوا أنه ما دام لا يسمى زانيا بالمعنى الشرعي، ولا يحق فيه حد الزنى فلا يتبرأ منه.

ونجد القطب في هذه المسالة يخطئ موقف أهل زوارة، ويشدد على كونه غير صواب، ويدعوهم إلى تصحيح موقفهم، ويبين أن هذا الفعل معصية ظاهرة، ومحرم بالحديث صراحة في تغليظ العقوبة الأخروية على النظر إلى العورات، ومحرم استنباطا من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ [الأنعام: 05]، ويفهم من الآية أهمية اللمس وأنها أشد من مجرد النظر.

واعتبر موقف أهل زوارة خطأ ووصفه بكونه فاحشا، ودعاهم إلى التوبة منه، وإلى اعتقاد البراءة من الزنى في غير الفرج.

المسألة الخامسة: حكم النظر إلى الفروج واللمس:

واستطرد الشيخ بعد تصويبه موقف أهل زوارة من الزنى دون الفرج إلى ذكر حكم وضوء من نظر إلى عورته أو زوجه، أو سريته بغير شهوة وقال لا ينقض الوضوء، خلافا للمس.

المسألة السادسة: الوقوف في حق الحارث وعبد الجبار:

وهذه القضية التي وقع حولها جدل شديد وأخذ زمنا طويلا منذ القرن الأول من الهجرة، وتتعلق بالحارث بن تليد وكان إماما، وعبد الجبار بن قيس المرادي وكان قاضيا له في طرابلس (131 . 140هـ)، وكانت وفاتهما معا في النصف الأول من القرن الأول للهجرة بالمغرب، وُجد سيف كل واحد في صدر الآخر، ففتن الناس بذلك، وفي الموقف منهما،

هل يعتبران قاتلان لبعضهما؟ وهل أحدهما قتل أخاه، أو هي مكيدة من غيرهما لإيقاع أتباعهما في الفتنة؛ وما زالت المؤلفات الإباضية تذكر اختلاف الناس حولهما ولاية أو براءة، وأقر أهل زوارة كما ذكر القطب في الجواب أنهم توقفوا فيهما احتياطا[33].

وهنا كذلك نجد الشيخ يصحح موقفهم ويأمرهم أن يغيروه إلى ولاية الحارث وعبد الجبار، حسما للخلاف، وقطعا للاختلاف في قضية قديمة مثل هذه، وأيد حكمه بولاية الرجلين بالآتي:

. الواجب استصحاب الأصل عند الشك، وقد كانا في الولاية أصلا، فلا ينقلان إلى البراءة بالشك، كما لا يتوقف فيهما لمجرد الشك، واليقين لا يزيله إلا يقين مثله، وهذه قاعدة تصلح في هذه الحال، فمادام الرجلان في الولاية فلا ينقلان إلى الوقوف لمجرد الشك.

. وشبه الموقف من الحارث وعبد الجبار بمسألة الشك في نجاسة الثوب، فيحكم بطهارته ولا يلتفت إلى الشك الحادث، ما لم يرتق إلى اليقين.

. وقارن بين إبقاء الثوب على حكم الطهارة وبين إبقاء الرجلين على الولاية، وقال إن الثانية رجوع عن العلم، بخلاف الأولى ليست كذلك.

. وفي الأخير أمر بالإبقاء على ولاية الحارث وعبد الجبار، واعتبر نقلهما إلى الوقوف من قفو الإنسان ما ليس له به علم، ومخالفة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: 36].

فقد وجه الشيخ أهل زوارة وصحح قولهم ونصحهم أن يأخذوا بالأصح مع دليله، وبهذا ينهي إشكالا عبر التاريخ، وفتنة بقيت تحيا على حدث تاريخي، وموقف غير مبني على أساس من العلم.

[33] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص. 180.

المسالة السابعة: قيام الحجة بالعقل والوحي:

ذكر قول أهل زوارة الموافق لقول الإباضية بأن الحجة قامت على المكلف بالعقل والوحي معا (كتابا وسنة)، ولو لم يبلغه دليل السمع.

وناقش هذا الموضوع طويلا بعد أن استشكله، وبين محل الإشكال فيه، ثم قدم الحل الذي رآه أصلح، وناقش أقوال الإباضية، والأشاعرة والمعتزلة الواردة في المسألة.

فالقول بأن الحجة قامت بالعقل والسمع كما قال به الإباضية، يعارض بما جاء من جواب أهل النار، وإقرارهم بسماع الأنبياء والنذر، مثل قوله تعالى عنهم: ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ ﴾[الملك: 9]، فهل سيقوله من لم يسمع، وهو لم يأته نذير؟ وهل يقر بما لم يسمع؟

وهل يعاتب من لم يسمع لأنه لم يسمع من لم يأته من المبلغين؟

ولذا يذهب القطب إلى القول المخرج من الإشكال، فقال جوابا:

«ولذلك قلت: من لم يصله سماع يؤاخذ على عدم معرفة الله تعالى؛ لأنه قد وصلته حجة التوحيد بمشاهدة وجود ذاته، والسماء والأرض والسحاب والنبات والجبال الأحوال»[34].

وبعد المعرفة يأتي الشكر على النعمة، ويوجبها العقل والشرع، وقد اختار القطب أن الشكر يجب عقلا، متبعا في ذلك الشيخ درويش بن جمعة المحروقي، في كتابه "الدلائل في اللوازم والوسائل"[35]؛ إلا أنه مع هذا لم يتفق مع المعتزلة في الحسن والقبح العقليين.

وانتقد على الأشاعرة القول بنجاة من لم تصله أي دعوة، ولم يرد دعوة وصلته، فيرى أن أقل ما يحاسب عليه العبد معرفة الله تعالى وجودا، وأن التكليف بالأحكام والعمل بها متوقفان على بلوغ الدعوة وقيام الحجة بها.

وأيد قوله وموقفه بالآتي:

---

[34] درويش بن جمعة المحروقي، الدلائل في اللوازم والوسائل، ص. 07، نقلا عن: اطفيش، جوابات القطب، 180/1.

[35] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص.183.

. 1 . قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [التوبة: 115]

2 . أقوال الإباضية التي تفيد عدم التكليف بما لم يبلغ إلى المكلف، مثل قولهم: «إنه من سمع عن النبيء ﷺ، وآمن وغاب، ونزل بعد غيبته ما لم يسمعه من فرض كصلاة؛ أو تحريم ما لا يدرك تحريمه بالعقل؛ أو نزل ما نَسخ ما سمع فإنه لا يُكلَّف بما بعد غيبته حتى يصله الخبر»[36].

3 . أقوال بعض الأشاعرة، ومنهم العطار والألوسي:

فقد قال العطار(1190-1250 / 1776 - 1835م) في حاشية جمع الجوامع: «وَقَدْ فُهِمَ مِمَّا تَقَرَّرَ أَنَّ النِّزَاعَ إنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِأَحْكَامِ الْإِيمَانِ بِخِلَافِ الْفُرُوعِ فَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهَا لَا تَثْبُتُ إلَّا فِي حَقِّ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ مَنْ أُرْسِلَ إلَيْهِ عَلَى مَا هُوَ ظَاهِرٌ»[37].

ونقل الآلوسي الكلام نفسه في روح المعاني فقال: «ثم المفهوم من كلام الأجلة أن النزاع إنما هو بالنسبة لأحكام الإيمان بالله تعالى بخلاف الفروع فلا خلاف في أنها لا تثبت إلا في حق من بلغته دعوة من أرسل إليه وهو الظاهر»[38].

كما انتقد الشيخ اطفيش قول عبد الله الفزاري: «حجة الله تعالى قامت على المكلفين بسماع السامع منهم، ولو لم يسمع الباقون»[39]، وقال عنه إنه يؤدي إلى وصف من لم يسمع بأنه سامع، وأن سماع الواحد كاف عن الآخرين الذين لم يسمعوا، وانتهى إلى أنه لا فرق بينه وبين قول جمهور الإباضية بقطع عذر من لم يسمع إلا في الألفاظ، معنى وزيادة ونقصا، فهما ينتهيان إلى نتيجة واحدة ومعنى واحد، لذا عدله بقوله: إن الحجة تقوم بالعقل على مستوى العلم بوجود الله تعالى وتوحيده دون سائر التكاليف، وتقوم بالنظر والفطرة المركوزة في النفس البشرية.

---

[36] العطار حسن بن محمد بن محمود، حاشية على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية ، دط، دت، 89/1.

[37] الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تفسير الآية 15 من سورة الإسراء، ص 283، حسب الرابط: https://quran-tafsir.net/alusy/sura17-aya15.html، تاريخ الاطلاع 22 أوت 2022، 07:39.

[38] عبد الله الفزاري، الرد على ابن عمير، مخ، ورقة 56-61، نقلا عن اطفيش، جوابات القطب، 1/ 182.

[39] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص.185 - 187.

المسألة الثامنة: حكم الجمعة وراء الجبابرة:

ذكر قول أهل زوارة بوجوب صلاة الجمعة خلف الجبابرة إذا لم يدخلوا فيها ما يفسدها، وعقب بأن المفسد نوعان: منه ما هو مجمع عليه، فلا يجوز الصلاة خلف مرتكبه، أما إذا كان مفسدا على الراجح فينتقل الحكم إلى جواز الصلاة وعدمه؛ ولم يقدم أمثلة على الحالين.

المسألة التاسعة: الأمر بالنوافل:

ذكر في هذه المسألة أن أهل زوارة يقرون بأن النوافل مأمور بها، مثل غيرها من القربات، وعقب الشيخ اطفيش بتصويب الإقرار، وبتقييد الأمر بأنه على الندب، ثم استطرد طويلا في مناقشة حقيقة الأمر، على الندب أو الوجوب، أو مشترك فيهما؛ أو فيهما وفي الإباحة والتهديد، وذكر الأقوال المختلفة فيه[40].

المسألة العاشرة: وجوب معرفة التوحيد:

وأورد فيها إقرار أهل زوارة بوجوب معرفة التوحيد والعمل به، أما سائر الفرائض فيجب العمل بها دون العلم بها؛ وقد صوب القطب الجزء الأول من الإقرار، المتعلق بوجوب العلم بالتوحيد والعمل به.

أما قولهم في سائر الفرائض أنه يجب العمل بها دون العلم، فقد اعتبره سهوا منهم، وعقب مستغربا صدوره منهم ولهم حظ من العلم، فلم ينف عنهم العلم، ونسب قولهم إلى السهو، وبين أنه واجب، وهو قول مجمع عليه، وقال: «لا قائل بغير الوجوب»[41]، ثم شرح ذلك واستدل على هذا الوجوب مطولا.

وبعدها استطرد إلى شرح قاعدة: "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، وأطال الكلام فيها وفصل، بشأنها، وفي حجية استصحاب الأصل كذلك.

---

[40] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص. 190.

[41] ينظر: مصطفى وينتن ومحمد باباعمي، أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة، مؤسسة كتابك، الجزائر، ودار الفكر، سورية، 2017م، ص. 23 – 54.

المسألة الحادية عشرة: الحق مع كل المختلفين في غير الأصول:

ذكر قول أهل زوارة وإقرارهم أن الحق مع المختلفين في غير الأصول، وشرح معناه؛ بأن الله تعالى جعل الحق مع كل واحد منهم، وقال إنه قول في الموضوع، فلم يرد عليهم ذلك، ثم أشار إلى القول بأن الحق مع واحد فقط، وأنه يمكن أن يخطئوا جميعا ولا إثم عليهم في ذلك، واعتبر هذا القول هو الصحيح، وقال إنه هو القول في المذهب، وأن في المسألة أقوالا متعددة واختلافا صرفته كثرة الأشغال عن الاشتغال بذكره.

ومع ذلك قدم الأقوال في حكم اجتهاد المجتهد في غير الأصول، مثل قول الأشعري والباقلاني، وقول أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني، وابن سريج، بتصويب المجتهد في غير الأصول، وأن الحكم على حسب ظنه، وأكد على قول الجمهور أن القول مع واحد، والمجتهد له أجر الاجتهاد ولو لم يصب الحق فيه.

ثم استطرد إلى حكم الاجتهاد في الأصول، ويقصد بها مسائل الاعتقاد، وضبط الأصل بأنه ما تعلق بالتوحيد مباشرة، أو غير مباشرة، وقال إن الحق فيها مع واحد، ولا يقبل الخلاف فيها، ولا يجوز، سواء من المجتهد أو غيره.

وأشار إلى أن الإباضية شددوا في بعض المسائل لقوة أدلتها، حتى يظن أنها من الأصول مع أنها ليست منها، ومثَّل بمسألة الخلود في النار ويقصد بذلك خلود العصاة المسلمين، وهم كفار النعمة عند الإباضية.

وهذا الموضوع قد تناوله القطب في كتب أخرى، وكان من رأيه أن الأصل ما تعلق بذات الله تعالى، وما كان الخلاف فيه يقدح في التوحيد ويخالفه، مثل مسألة رؤية المؤمنين الله تعالى، فهي عنده من الأصول لتعلقها بذات الله تعالى مباشرة؛ وهكذا وجدناه رفع هذه المسألة إلى الأصول التي لا يجوز فيها الخلاف، وأنزل مسألة خلود العاصي في النار عن الأصول بالمعيار ذاته، لأن الخلاف فيها لا يتعلق بالتوحيد كما يرى.

وقد أثار الشيخ بهذا الموقف جدلا وما يزال؛ والواقع أن الضابط الذي اختاره مهم وقوي في التمييز بين الأصول والفروع، ولكن لو أضفنا إليه معيارين:

الأول ما نزل به نص صريح، والثاني ما بني عليه غيره، فيكون كل ما لم ينزل بنص صريح وبني على غيره فرعا، ويمكن فيه الخلاف، وهكذا تنحصر الأصول في عدد محتمل، ومضبوط، ولا نجد إلا الأصول الإيمانية الستة تحقق هذه الشروط، ويمكن للمسلمين أن يتفقوا عليها[42].

ورد قول العنبري عبيد الله بن الحسن التميمي(ت.168هـ) والجاحظ برفع الإثم عن المخطئ في الأصول العقدية.

المسألة الثانية عشرة: حكم الحرام المجهول العين:

ذكر في هذه المسألة أن أهل زوارة أقروا أن الحرام المجهول العين لا يأثم مقارفه أو المتصرف فيه.

ومثل القطب بمثال من تزوج امرأة لا يعلم أنها أخته، فيثبت النسب للولد من أبيه وأمه، فيصبح الرجل أبا للابن وخالا له، ويعذر بهذا الجهل.

وصحح هذا الحكم، ودعا من خالف فيه من أهل زوارة إلى التوبة من مخالفته.

أما المجهول التحريم فلا عذر فيه، مثل أكل الميتة أو شرب الخمر بجهل تحريمهما.

واستطرد إلى أحكام المغصوب، وحكم بإرجاعه إلى صاحبه إن بقيت عينه، وإن تلف فله مثله مكيلا أو موزونا، أو قيمته.

وأما مجهول الصفة فمعذور فيه، وصحح بعد هذا القول في مجهول العين أنه لا عذر فيه، لأن الواجب السؤال قبل المقارفة؛ ثم استطرد إلى أحكام القول والفعل بغير علم.

المسألة الثالثة عشرة: دعوة المشرك وأهل الخلاف:

ذكر إقرار أهل زوارة بأن الدعوة تختلف في حق المشرك عن المخالف، فالمشرك يدعى إلى التوحيد، وأما المخالف فيدعى إلى ترك ما وصفه بأنه ضل فيه، وصوب هذا القول منهم.

فالدعوة في شطرها المتعلق بالعموم وهي دعوة غير المسلم، لا خلاف فيها، إلا أنها في

[42] اطفيش، شرح كتاب أصول الدين، تحقيق القسم الأول، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، سنة 2007م، ص.591.

الشطر الثاني المتعلق بالمخالف فإننا نلحظ أنها كانت سببا في فرقة الأمة، من حيث إطلاق حكم الضلال على المخالف، ودعوته إلى ترك مخالفته لأنها في نظر من يدعوه قد ضل بها؛ ولم يحدد هنا معنى الضلال، مع أن الشيخ قد نص في غير هذا الجواب بأن المسائل التي بين المذاهب والتي هي موضع خلاف لا تكون موضوع أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، اعتبارا للدليل الذي يحتمل للمخالف في الرأي[43].

وهذه في نظرنا من أثر اختلاف المسلمين واعتبار الحق إلى جانب واحد، ورفع المذهب إلى مساواة الإسلام، وجعل ما خالفه خارجا عنه، مما أثر كثيرا على المجتمع المسلم، وأنتج التعصب والحمية المذهبية.

المسألة الرابعة عشرة: مصير طفل المشرك والمنافق:

ذكر إقرار أهل زوارة بالقول المشهور في المذهب بأن حكم أطفال أهل الشرك وأهل النفاق في الوقوف، فلا يحكم بأنهم من أهل النار ولا من أهل الجنة.

ثم عقب بأن الذي يقول به هو إنهم في الجنة، ولا يتحملون ذنب آبائهم، ولا يكلفون في الآخرة بشيء، ولم ير صحة حديث اختبارهم، واستدل بحديث: «إنهم في الجنة خدم لأهلها»[44]، وقال إن وقوف الرسول ﷺ في حقهم، كان قبل أن يسأل الله تعالى عن حكمهم، واستدل بحديث: «سألت الله في اللاهين فأعطانيهم خدما لأهل الجنة»[45].

---

[43] الطبراني، من حديث سمرة بن جندب، وهو بلفظ: "أولاد المشركين خدم لأهل الجنة"، حديث رقم 2120؛ ورواه البيهقي، في باب معنى قوله: خلقت عبادي حنفاء، وقول النبيء ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة والحكم في الأطفال، رقم 567؛ وأبو نعيم في معرفة الصحابة، باب الميم، من حديث أبي مالك، رقم 6360، ينظر: اطفيش، جوابات القطب، 1/ 195، هامش 04.

[44] رواه الطبراني في الأوسط، من حديث أنس بن مالك، رقم 6119؛ ولفظه: "سألت ربي في اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم"، وأبو يعلى في المسند، من حديث أنس بن مالك، رقم 3991؛ والبيهقي، القضاء والقدر، باب معنى قوله: "خلقت عبادي حنفاء" رقم 566؛ ينظر: اطفيش، جوابات القطب، 1/ 196.

[45] وقد أحال محققوا الجوابات إلى الشهرستاني في "الملل والنحل"؛ ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، 1/ 66؛ نقلا عن: اطفيش، جوابات القطب، 196/1.

ومع أن الموقف الذي ذهب إليه القطب في جزء منه موافق لروح الشريعة، وأصولها، وهي عدم تحمل الواحد إثم أخيه، في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: 164]، لكنه مع ذلك فقد وضع أطفال غير المسلمين خدما بسبب حال آبائهم وكفرهم، فما زال هذا الوضع أيضا غير مبرر، وغير موافق للآية السالف ذكرها.

المسألة الخامسة عشرة: أحكام التقية بالفعل:

ذكر إقرار أهل زوارة بعدم جواز التقية من الموت بشرب الخمر، وأن بعضهم أجازها فأنكروا عليه، وأقرهم في إنكارهم، وأن المشهور أن التقية لا تجوز بالفعل، مع أن بعض العلماء أجاز التقية بالفعل؛ بشرب الخمر، وأكل النجس والميتة، والدم ولحم الخنزير، والبول والغائط.

وأجاز بعض التقية بأكل مال الغير، والانتفاع به، والتنجية به من الجوع والعطش؛ وأيد القطب هذا الرأي، واستدل له بأن صاحب المال يجب عليه تنجية غيره من الموت ومن القتل، ويستثنى من هذا لو كان أكل مال الغير أو إفساده يؤدي إلى موت صاحبه جوعا.

ونسب إلى المعتزلة أنهم يجيزون التقية بفعل جميع المعاصي قياسا على التقية بالقول، إلا ما فيه ظلم، ولم يذكر مصدره في هذا[46]؛ ورد على من أجاز التقية بالزنا وقال إن اتقى به لزمه الحد والعقر.

وذكر الاختلاف في جواز التقية بالقذف للمكره، وضعَّف قول ابن بركة بجوازها.

وذكر إجازة بعض التقية بكل ما يكون باللسان قذفا وشهادة زور وإفتاء بغير حق.

ولا يجوز على المكره قتل غيره، وإن فعل لزم القصاص منه ومن مكرهه، أو من مكرهه فقط، واستدل لذلك بالحديث الموقوف على ابن المسيب، وفيه: «لو اجتمع على النفس المقتولة في اليمن أهل اليمن لقتلتهم»[47].

---

[46] عبد الرزاق، المصنف، كتاب العقول، باب الحر يقتل العبد عمدا، رقم 18131؛ وابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الديات، باب الحر يقتل عبد غيره، رقم 04؛ ينظر: اطفيش، جوابات القطب، 197/1.

[47] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص.182.

المسألة السادسة عشرة: جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل:

أقر أهل زوارة بجواز إمامة المفضول وتقدمه مع وجود الفاضل، وعقب الشيخ بأنه من جملة الأقوال، وقال لا بأس به، ثم أيده بأنه صحيح من حيث المصلحة والحكمة، واستدل بجملة من الشواهد من السيرة المطهرة، وأحاديث يروى فيها صلاة النبيء ﷺ خلف أحد الصحابة ومنهم أبو بكر الصديق ﷺ وغيره، وصلاة بعض الصحابة وراء من هم دونهم في الفضل، وبفعل الأمراء عندما يقدمون بلدا تحت إمارتهم يصلون خلف أئمة تلك البلدان.

فنلحظ أن مسائل الجواب قد استغرقت مجالات متعددة من أبواب العلم، وقضايا عقدية وأصولية، وفقهية عديدة، توقف عندها الشيخ اطفيش واستفاض في بعضها، واعتذر في واحدة عن التفصيل بسبب أشغال تمنعه من ذلك.

فهذا الجواب نموذج ووثيقة في التعرف إلى جهود الشيخ ومواقفه في مثل هذه المسائل، ودليلا على انتفاع الخلق بما آتاه الله من العلم.

5 . مجالا ت الامتداد المعرفي في الرسالة:

نعتبر هذا الجواب من الشيخ اطفيش امحمد بن يوسف نموذجا من إسهامه المعرفي، ودليلا على امتداد جهوده وفكره خارج بلده، فلم يقتصر إشعاعه العلمي على نطاق ضيق، بل تعدى محيطه المحلي ليشمل بلدانا من حول الجزائر، شرقا، شمالا وجنوبا؛ وهذه الرسالة إلى أهل زوارة تقدم وثيقة في الموضوع، من خلال جوانب متعددة، إذ شملت الكثير من القيم والمعارف التي أراد الشيخ أن يبلغها إلى من راسلهم، ومن أجابهم على أسئلتهم.

من خلال الجواب نرصد جملة من مجالات الامتداد المعرفي منها ما تعلق بالجهة المرسل إليها، أو بالمرسل نفسه.

5 . 1 . الحياة الفكرية والوضعية الاجتماعية لأهل زوارة:

تنبؤنا هذه الرسالة في جزئها الأول عن سمات المجتمع الزواري، وبالتبع عن جزء من المجتمع المسلم نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجريين (19و20 الميلاديين)، ونذكر من ذلك:

أ . غلبت الجوانب التراثية على الاهتمام المعرفي، فكل الأسئلة التي تم الجواب عنها ترجع إلى اهتمام بقضايا علم الكلام في صورته القديمة ولم تتغير، وما زالت آثارها مستمرة في الزمن، وبخاصة الأثر الاجتماعي، حيث اضطر أهل زوارة إلى الاستنجاد بالشيخ اطفيش باعتباره مرجعا في العلم، لكي يصحح صورتهم أمام الناس، واستعانوا به، لتوضيح مواقفهم من خلال إرسال إقراراتهم، وتصديق الشيخ عليها, أو توجيههم في شأنها، وتصويب نظرهم وقولهم.

وهذا نموذج واقعي من الآثار الاجتماعية للمواقف الكلامية على المجتمعات المسلمة، فما زال الفرد المسلم، أو المجتمع كله يعيش على أثر المواقف التي اتخذها من سلفه، وتناقلتها المصادر والمراجع عن المجموعات والمذاهب، وأحيانا في الداخل المذهبي، ويتبع ذلك الأحكام التي يتبناها الناس تجاه بعضهم بعضا، بسبب هذه المواقف، وتكون أحيانا معلومات غير صحيحة، كما هو الشأن في هذا النموذج الخاص بأهل زوارة؛ فما يزال العقل المسلم يتناقل الأقوال أحيانا دون تمحيص، وتنشأ حالات تشنج وتعصب بين المسلمين تبعا لهذه الطريقة في التعامل بينهم.

ب . دلت المواقف التي أبداها أهل زوارة في هذه المسائل الكلامية على أنه رغم انتسابهم إلى النكار إلا أنهم قريبين من الوهبية ولم تكن مساحة الخلاف واسعة، بل كانوا يؤكدون على تطابق المواقف بينهم وبين بقية الإباضية، فقد وجدناهم يقرون في ثلاث عشرة مسألة بمثل ما هو مشهور المذهب، ولم يخالفوا إلى في ثلاث مسائل فقط، صحح فيها الشيخ قولهم، أو دعاهم إلى التصحيح.

ج . استنجد أهل زوارة بالشيخ في إظهار هذه العلاقة، فكان الشيخ يصحح قولهم في أكثر الإقرارات، ولم يرد قولهم إلا في القليل منها.

فقد أقرهم في كل المواقف، واعتبر ما أقروا به متطابقا مع القول في المذهب أو المشهور فيه، ورد قولهم في ثلاث مسائل فقط، ودعاهم إلى ترك ما ذهبوا إليه، وهي:

1 . قولهم في سائر الفرائض أنه يجب العمل بها دون العلم، فقد اعتبره سهوا منهم.

2 . توقفهم في شأن الحارث، وعبد الجبار، ودعاهم إلى تغيير موقفهم، والإبقاء على ولايتهما حسب أحكام الولاية والبراءة في المذهب.

3 . توقفهم في حق الزاني دون الفرج، واعتبره الشيخ خطأ يجب عليهم تصحيحه، وشدد على كون الوقوف فيه غير صواب.

فالرسالة في نظرنا محاولة من أهل زوارة لإيجاد مكانة لهم، وللرجوع إلى الوحدة؛ وتصحيح وتقديم تصور حقيق بموقف أهل زوارة.

ويبدو أن الثاني . وهو تصحيح التصور عنهم . هو الأقرب، ويدل على هذا آخر الجواب، حيث أورد الشيخ استياءهم وشكواهم من نسبة أقوال إليهم، مع أنها في الأصل من أقوال عيسى بن عمير وعبد الله بن عبد العزيز، وصحح القطب أنهما ليسا على مذهب أهل زوارة، وأنهما كانوا قبل أهل زوارة وجودا وهم من فرقة تسمى العمرية.

2 . 5 . منهج الشيخ اطفيش في الدعوة ونشر المعرفة:

أظهرت أجوبة القطب شخصيته في التعامل مع الغير، فدلت على حكمة في الجواب، وحرص على جمع شمل المسلمين، والدعوة إلى تجاوز الخلافات التاريخية؛ ونلمس هذا من خلال الآتي:

أ . استعمال مصطلح "الشيخ" في حق إمام أهل زوارة عبد الله الفزاري، فلم يكف أن الشيخ لم يصفه بما يدل على إنكاره، أو اختلافه مع بقية الإباضية، بل حفظ له مكانة علمية، وقال عنه: "الشيخ"، وربما لا نجد فيمن سبق الشيخ اطفيش من تعامل معه كما فعل الشيخ اطفيش، وهذا لا شك أن له أثره على المخاطبين من أتباعه، وكان الشيخ ينسب أهل زوارة إليه ويقول: "إمامهم"[48].

[48] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص .188.

ب . استعمل خطابا حكيما ورفيقا ولينا، مؤلفا للقلوب مع أهل زوارة، فلم يستعمل مصطلح "النكار" أبدا، رغم أنه ينسبهم إلى زعيمها، وكان يسميهم إخواننا، ولم يشدد عليهم في المواقف التي خالفهم فيها الرأي، فقال في إقرارهم عدم وجوب العلم بالفرائض، إنه سهو منهم، وخطأ، وأحسن الظن بهم، واعترف لهم بحظهم من العلم، وقال: «وهذا من إخواننا سهو، مع أن لهم حظا من العلم»[49].

ج . حرص الشيخ اطفيش على الرجوع إلى المصادر، ومنها كتاب عبد الله بن يزيد الفزاري، إمام المخاطبين، وهذا رغبة منه في قطع إشكال الرسالة التي وجهها أهل زوارة، إذ كانوا يشتكون من عدم تثبت الناس عند نسبة الأقوال إليهم، فكان الشيخ يرجع إلى مصدر من مصادرهم، تثبيتا للمعلومة.

د . اتسم جواب الشيخ اطفيش بالركون إلى الجمع بين الأقوال أو احتمال وجوه للمعنى قدر المستطاع، مثل مسألة القول بتغير ولاية الله العبد وبراءته منه، فقد أقرهم على قولهم الموافق للمذهب، بأن ولاية الله تعالى وبراءته لا تتغيران، واحتمل للقول بتغيرهما معنى ممكنا وهو رضا الله تعالى بالطاعة في ذاتها من العاصي عندما يطيع مع أنه في البراءة، لسبق علم الله تعالى به وبحقيقته؛ وعدم رضاه بالمعصية في ذاتها من المطيع عندما يقع في المعصية مع أنه في الولاية، لعلم الله تعالى به وبحقيقته كذلك.

هـ .كان يتوسع إلى أكثر مما طلب منه تعميما للفائدة؛ مثل حكم النظر إلى العورة مع الوضوء[50]، ودلالة الأمر الشرعي[51]، وفي بحثه مسألة: "حكم ما لا يتم الواجب إلا به هل هو واجب؟"[16]، وحجية استصحاب الأصل[52]، ومسألة أصول الإيمان التي لا يجوز فيها الخلاف[53].

---

[49] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص 178.

[50] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص 185 -187.

[51] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص 188 - 190.

[52] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص 190 - 191.

[53] اطفيش، جواب أهل زوارة، ص 191 - 192.

وكانت أجوبة القطب وتعقيباته وتصويابته محكمة، وحازمة في تقديم الجواب الكافي، والصارف عن الجدل، مما يمكن من الاستقرار الاجتماعي، وقطع أسباب الخلاف، ووظف هذا الولاء الطوعي من سائليه لهذا الهدف أحسن توظيف، وخاصة وأن أغلب المسائل التي أجاب فيها كانت موروثا تراثيا، وسببا للجمود على الأفكار القديمة واجترار الماضي بين الأوساط العلمية والاجتماعية، فنتصور مدى تأثير أجوبته وإسهامها في الاستقرار، ونشر الأمان بين المسلمين، ولا يستبعد أن يكون للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عاشها أثر في مثل هذه الأجوبة والتوجيهات لأهل زوارة وغيرهم، وكثيرا ما دعا إلى ضرورة الاهتمام بأمر المجتمع المسلم، وإصلاح أوضاعه، ورجوعه إلى سابق عهده من الريادة والسؤدد.

خاتمة:

وبعد، فهذه المحاولة في دراسة جواب الشيخ اطفيش إلى أهل زوارة، تظهر جانبا من إسهام القطب وامتداده المعرفي خارج وطنه، يضاف إلى الأعمال الأخرى التي أسهم بها في خدمة للعلم وأهله في بلاد مختلفة، وأظهر هذا النموذج أن هذا الامتداد كان سريعا إذ استفاد خلق كثير من أعماله خارج الجزائر وهو على قيد الحياة، واستمر هذا إلى ما بعد وفاته، وما يزال أهل العلم يتداولون أعماله.

ولجوابه على أسئلة أهل زوارة دلالات عديدة، لعل أهمها مما وقفنا عليه:

ا . ربطه هذه المدينة وأهلها بغيرها من بلاد الإسلام من خلال مساهمته في توضيح الصورة الصحيحة عنهم وعن آرائهم، واستبعاد ما ينسب إليهم بغير وجه حق، وعن غير علم.

ب . مساهمته في تصحيح بعض المواقف عند أهل زوارة، ودعوتهم إلى تغييرها بما يراه صحيحا.

ج . تميز الشيخ اطفيش بمنهجه الدعوي في خطابه لمن راسله، استعمل الحكمة، وتقدير المخاطب، وتثمين ما لديه من حق وصواب، والدعوة بكل رفق وإخلاص إلى التصحيح عندما يرى ضرورته.

د . تقديره من راسلوه واحترامه لآراء غيره، فكان لا يبخس الناس أشياءهم.

ونحسب أن هذه القيم التي تحلى بها أهل العلم في كل مكان وزمان كفيلة بتقليص مسافة الاختلاف وتقريب وجهات النظر، وإحلال التوافق، واحترام الآخر، والتزام الحوار الهادئ والهادف.

أخيرا: فهذه محاولة لا يمكن أن تحيط بالموضوع ولكن حسبها أنها قدمت نموذجا من علماء الجزائر في امتدادهم المعرفي خارج وطنهم، وفي إسهامهم في نشر العلم، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة. والله أعلم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى، ملحق السير، مخطوط، نسخة منه بمكتبة الدكتور محمد ناصر، الجزائر.

اطفيش امحمد بن يوسف:

2 . بيان البيان، (مخ) مكتبة القطب، بني يزقن، رقم (أ. س: 1، 2).

3 . تيسير التفسير: ط1 قديمة الجزائر 1326هـ. وط2 مطبعة البابي الحلبي مصر نشر وزارة التراث القومي والثقافة، عمان من سنة 1982 إلى 1987م

4 . الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ط1، د.م، 1326هـ.

5 . الرد على الانكليزي، المطبعة المديرية، تونس 1321هـ ، ضمن مجموع.

6 . الرد على العقبي: المطبعة المديرية تونس 1321 هـ.

7 . رسائل بين القطب والإدارة الاستعمارية، (مخ)، مكتبة الاستقامة، بني يزقن، رقم (د.ر).

8 . شرح عقيدة التوحيد، تحقيق مصطفى وينتن، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1422هـ/ 2001م.

9 . شرح كتاب النيل، ط3 دار الفتح بيروت ومكتبة الإرشاد جدة 1405هـ/1985م.

10 . شرح شواهد الوضع، (مخ) مكتبة القطب، بني يزقن، رقم (أ.ع: 03)

11 . شرح كتاب أصول الدين، القسم الأول، تحقيق مصطفى وينتن، أطروحة دكتوراه، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، سنة 2007م.

12 . شرح لامية ابن النضر، (مخ) مكتبة القطب، بني يزقن، رقم (أ- ث:1).

13 . القصيدة الحجازية، (مخ) ضمن مجموع قصائد وأجوبة، مكتبة القطب، بني يزقن، رقم (أ.ز 7).

14 . مجموعة رسائل، (مخ) مكتبة القطب، بني يزقن، رقم (أ.ز 6).

15 . الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تفسير الآية 15 من سورة الإسراء، ص 283، حسب الرابط: https://quran-tafsir.net/alusy/sura17-aya15.html، تاريخ الاطلاع 22 أوت 2022، 07:39.

16 . بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، سلسلة العصبية القبلية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

17 . جمعية البلابل الرستمية، أعمال مهرجان القطب، غرداية سنة 1980، مرقونة، بمكتبة محمد بن أيوب الحاج سعيد، غرداية.

18 . جمعية التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، 1420هـ/1999م.

19 . الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق الشيخ إبراهيم طلاي، ط2، دم، دت.

20 . الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعمرين والمستشرقين، دار العلم للملايين ط7 بيروت 1986م.

21 . عبد الحق ميحي، مخاطبات ورسائل قطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش إلى سلاطين زنجبار في شرق إفريقيا، ضمن كتاب: الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش قطب الأئمة الموسوعي المصلح المجدد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، رجب 1431هـ/ 2010م.

22 . عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطون دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت د.ت.

23 . العطار حسن بن محمد بن محمود، حاشية على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية ،دط، دت.

24 . مصطفى وينتن ومحمد باباعمي، أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة، مؤسسة كتابك، الجزائر، ودار الفكر، سورية، 2017م.

25 . مهنا بن راشد بن حمد السعدي، الإمام الحارث بن تليد الحضرمي (131- 140هـ)، في الرابط:
http://ibadiya-ahlalhaqe.blogspot.com/2014/01/131-140.html؛
تاريخ الاطلاع: 2022/09/09؛ 22:24.

26 .EMILLE MASQUERAY: Chronique d'Abou Zakaria: Imprimerie de l'Association ouvrière, Alger.

27 .P. Cuperly ; Aperçus sur l'histoire de l'ibadisme au M'zab:
رسالة ميتريز مرقونة قدمت بالسربون سنة 1971م.